أسواق كونتية شامباني الموسمية في المملكة الفرنسية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

محمد جمعه محمد

باحث دكتوراة – كلية الآداب – جامعة الفيوم

الملخص:

تعتبر الأسواق بصفةٍ عامة من أكثر المعالم اللافتة للنظر في الحياة الاقتصادية عبر العصور؛ بسبب الدور الذي تلعبه في تاريخ الشعوب، وقد تكونت الأسواق الموسمية، وذلك للقيام بالمعاملات التجارية الواسعة النطاق، أو ما يُعرف بعملية البيع بالجملة، وقد أقيمت تلك الأسواق لجذب أكبر عدد ممكن من الناس لبيع بضائعهم وسلعهم المختلفة، وكانت تلك الأسواق لا تعقد أكثر من مرة أو مرتين على الأكثر في السنة في المكان نفسه؛ وذلك بسبب ما تحتاجه من استعدادات كبيرة، واعتبرت أسواق المملكة الفرنسية – خاصةً في كونتية شامباني – من أبرز الأمثلة لهذا النوع من الأسواق الموسمية التي عرفتها أوروبا خلال العصور الوسطى.

الكلمات الدالة: الأسواق الموسمية، السلع، التجارة، فرنسا، شامباني، العصور الوسطى.

كان الموقع المتميز لكونتية شامباني في شرق المملكة الفرنسية، وامتدادها على طول ساحل نهر السين Seine وروافده، قد جعل منها ملتقى للطرق التجارية التي ربطت بلاد البحر المتوسط بالأراضي التي يجرى فيها أنهار الراين Rhine والرون Rhône، فالأول ينبع من مرتفعات جبال الألب Alps، ويتجه شمالًا مرورًا بفرنسا، حتى يصب في بحر الشمال، أما نهر الرون فيربط ما بين دول البحر المتوسط وجنوب فرنسا، ويتجه شمالًا مرورًا بالمنطقة الشرقية من فرنسا حيث أسواق شامباني، وتربطه عدة روافد بشمال أوروبا؛ لذا تركزت التجارة في فرنسا في المنطقة الشرقية[١].

(1) Bourquelot, F., *Les foires de Champagne sur la nature l'etendue et les regles du commerce*: memoires presentes par divrers savants al'academe des inscriptions et belles-lettres, Paris, 1865, p. 128; Boissonnade, P., *Life and Work in Medieval Europe*, London, 1973, p. 171; Aryeh, G., *The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization*, London, 1980, p. 185. =

هذه المقومات جعلت من أسواقها مركز جذب للمجموعات التجارية، وملتقى تجار الجنوب بتجار الشمال، وشهدت منطقة شامباني ستة أسواق موسمية تقام فيها الدورة السنوية، اثنين منها في بروفانس Provence، واثنين في تروا Troyes، وواحدًا في لاني Lagny، والأخير في با سيروب Bar-sur-Aube، وكان كل سوق منها يستمر حوالي ستة أسابيع[١]، ومن جانبهم أدرك حكام شامباني أهمية موقعها، ومنذ القرن الحادي عشر

= جاءت تسميتها من شكلها العام فكلمة شامباني تدل على البقاع المنبسطة الخالية من الأشجار والصالحة للزراعة طوال العام، يحدها من الشمال الشرقي منطقة برجنديا Burgundy، من الجنوب منطقة اللورين Lorraine، ومن الشرق مدن تيراش Thierache وسواسون Soissons، وتتصل حدودوها الغربية بباريس Paris، وتمتد شامباني على طول نهر السين Seine – أهم أنهار فرنسا، ويعد النهر الرئيس في حوض باريس – وينبع من الأجزاء الشمالية لهضبة فرنسا الوسطى ويصب في القنال الإنجليزى، ويبلغ طول مجراه حوالي ٧٧١ كيلو مترًا، وتتصل به عدة روافد صغيرة منها، نهر مارنMarne الذي ينحدر من الجانب الشرقي لحوض باريس، بالإضافة إلى نهر أوب Aube المتصل بوسط وشرق شامباني، فموقعها الجغرافي جعلها على اتصال دائم بإقليم الفلاندرز، وبالتالي مناطق شمال أوروبا حيث منتجو الصوف الإنجليزي ومصائد الأسماك في بحر الشمال، وكان من السهل الوصول إليها من ألمانيا وإيطاليا، وشمال إسبانيا، حيث رجال المصارف والبيوت المالية، هذا بالإضافة إلى مقاطعات شمال وجنوب المملكة الفرنسية. للمزيد راجع:-

Moore, W.G., *The Penguin Encyclopedia of Places*, New York, 1971, p.166;

سعيد عبد الفتاح عاشور، *تاريخ أوروبا العصور الوسطى*، جزءان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ج٢، ص١١١؛ محمد خميس الزوكة، *جغرافية المياه*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١٢١.

[1] Opoix, Ch., *Histoire et description de Provins*, Paris, 1823, p.191; Pounds, N.G., *An Economic History of Medieval Europe*, London,1974, p. 355.

ومنطقة بروفانس تقع في جنوب شرق فرنسا، تحدها إيطاليا من الشرق، ونهر الرون من ناحية الغرب، ومن الجنوب مدينة مارسيلياMarseille والبحر الأبيض المتوسط، وتعتبر بروفانس واحدة من أهم مناطق جنوب فرنسا، اشتهرت بمزارع الكروم وأشجار الزيتون والتوت، وبحكم موقعها كانت معبرًا للتجار الإيطاليين والإسبان إلى بقية أجزاء المملكة الفرنسية في العصور الوسطى. للمزيد راجع :-

Masson, B. A., *Medieval France*, London, 1945, p. 139; Moore, *The Penguin*, p. 634

وتقع تروا في الجزء الجنوبي الغربي من شامباني على نهر السين، وكانت عاصمةً لإقليم شامباني منذ القرن التاسع الميلادي، تميزت بخصوبة تربتها، وكثرت فيها زراعة الحبوب والفاكهة، وكانت محطة تجارية مهمة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، حيث قصدها التجار من أغلب مناطق فرنسا نتيجة لموقعها المتميز. للمزيد راجع :- =

الميلادي قاموا برعاية المصالح التجارية لها؛ نظرًا للفوائد والمكاسب المادية التي عادت عليهم من وراء ذلك[١]؛ ومن أجل هذا عملوا على تمهيد الطرق وحراستها لسهولة تنقل التجار الأجانب، ولضمان سلامتهم حتى وصولهم إلى الأسواق؛ مما جعل أسواق كونتيتهم تشهد تدفق الكثير من التجار على اختلاف جنسياتهم وتنوع سلعهم، ونالت هذه الأسواق مكانة دولية في التجارة العالمية آنذاك[٢]، وسيكون الحديث عن هذه الأسواق في عدة نقاط هي:

أ- جنسيات التجار في أسواق شامباني:

تنوعت جنسيات التجار داخل هذه الأسواق، وتعتبر أسواق تروا – في جنوب غرب شامباني – النموذج الأمثل لهذا التنوع، فقد وفد إليها الكثير من التجار مع اختلاف جنسياتهم، وبحكم الموقع كان أغلبية هؤلاء من تجار ألمانيا والفلاندرز، وتجار مملكة إنجلترا، ومناطق بحر البلطيق Baltic sea؛ بالإضافة إلى تجار من إيطاليا وروسيا ونورماندیا Normandy، وتجار من مقاطعة برابانت Brabant[٣]، أما سوق لاني – في

= Bourquelot, *Les foires*, p.104; Moore, *The Penguin*, p.796.

ومدينة لاني تقع على نهر مارن، في شمال شرق باريس، وكانت في منتصف الطرق التجارية الرابطة بين مناطق شرق وغرب فرنسا، كثرت فيها مزارع الكروم وامتازت بجودة نبيذها، للمزيد راجع:-

Webester, M., *New Geographical Dictionary*, New York, 1972, p. 622.

تُنسب كلمة باسيروب "قلعة أيوب" – التي كانت حصنًا رومانيًا قديمًا يسمى Bilbilis – إلى أيوب بن حبيب اللخمي (٧١٦-٧١٧م) ثالث ولاة الأندلس الذي جدد بناءها، فسُميت باسمه، وتقع في شرق تروا. للمزيد، راجع:- البكري "أبو عبد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م"، *جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك*، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٩١ حاشية (٢)؛ هناء بنت محمد الراشد، "التاريخ السياسي لإمارة قطالونيا ودورها التجاري في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني والثالث عشر الميلاديين"، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية بالدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٤٣٨ حاشية (١).

(1) Jubainville, A., *Histoire des duces et des comets de Champagne*, 3 Vols. Paris, 1861, Vol. 3, p. 226; Painter, *Mediaeval Society*, p. 76;

سعيد عاشور، *تاريخ أوروبا العصور الوسطى*، ج٢، ص١١٨؛ جودة حسنين جودة، *قارة أوروبا (دراسات في الجغرافيا الإقليمية)*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٤٥.

(2) Halphen, L., *Peuplest civilisation histoire generale, l'essor de l'europe (XI-XIII siècles)*, Paris, 1941, p. 557; Pounds, *An Economic History*, p. 356.

(3) Sortor, M. J., *"Saint Omer and its Region: Changes in Market Structure and the Regional Economy in Northern France and Flanders in the Late Middle Ages"*, Ph.D. Dissertation, University of California, 1988, p. 43. =

شرق مقاطعة شامباني – فقد تدفق إليه التجار الإنجليز وبخاصةً تجار لندن، بالإضافة إلى تجار أيرلندا Ireland والقادمين عبر بحر الشمال، مصطحبين معهم تجار مدينة سانت أومير، ومن شمال أوروبا، وأسكتلندا Scotland[١]، هذا بالإضافة إلى تجار مدينة بيرجن وتجار ألمانيا القادمين عبر الحدود والطرق البرية الممهدة، ومنها إلى ضفاف نهر السين؛ ليتنقلوا بحرية من سوق إلى آخر من أسواق كونتية شامباني[٢]، كما تردد التجار الإسبان–

= يقع إقليم الفلاندرز شمال شرق فرنسا – وتقع أجزاء منه في جنوب بلجيكا حاليا – وتمتد مدن الإقليم على طول ضفتي نهر الشيلد Schelde أحد أهم أنهار الإقليم، المتصل ببحر الشمال، مما أتاح لمدن الإقليم الاتصال بمملكة إنجلترا ومناطق شمال أوروبا، وهذا الموقع المتميز كان له أكبر الأثر في ازدهار أسواق الإقليم، فهو بمثابة نقطة التقاء للتجار القادمين من فرنسا، وشمال إيطاليا، وألمانيا، مع تجار الشمال وتجار من مملكة إنجلترا، ومناطق إسكندنافيا، والتجار الروس، وبقية التجار القادمين عبر نهر الراين.
Hoyat, R.S. , *Europe in the Middle Ages*, New York , 1976, p. 267;
جودة حسنين، *قارة أوروبا*، ص١٥٢.

يقع بحر البلطيق في شمال أوروبا، تحيط به العديد من الدول الأوروبية، كدول شبه الجزيرة الإسكندنافية، ودول شمال ووسط شرق أوروبا والجزر الدانماركية، يتصل ببحر الشمال عن طريق خليج يدعى خليج كاتيجات Kattegat. للمزيد راجع:– Moore, *The Penguin*, p.76.

أما نورمانديا، فتقع في شمال غرب فرنسا بالقرب من بحر الشمال، وسميت هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى قبائل النورمان الجرمانية، القادمة من شمال أوروبا في القرن العاشر الميلادي واستقروا بها، والكلمة مأخوزة من Northman أي رجل الشمال، وعرفت منذ ذلك الحين بنورمانديا. للمزيد راجع :–
Haskins. H., *The Normans in European History*, New York, 1966, p.17; Moore, *The penguin*, p.564.

تقع برابانت في شمال فرنسا بالقرب من إقليم الفلاندرز، في المنطقة ما بين نهر الميز Meuse، ونهر الشيلد، وكانت في القرن الثاني عشر الميلادي جزءًا من دوقية اللورين السفلى Lower Lorraine . للمزيد راجع:– Moore, *The Penguin*, p.703.

(1) Giraldus, C., *The Topography of Ireland and the History of the Conquest of Ireland*, London, 1894, p.21; Bourguelot, *Les foires*, p.141.

تقع أيرلندا في شمال شرق المحيط الأطلنطي وهي محاذية لمملكة إنجلترا، ويفصلها عن إنجلترا بحر الشمال والبحر الأيرلندى. للمزيد راجع :– Moore, *The penguin*, p.377.

وتقع أسكتلندا في الجزء الشمالي من مملكة إنجلترا، وتضم عددًا من الجزر، يحيط بها المحيط الأطلنطي من الشمال والغرب، ويحدها بحر الشمال من الشرق، وإنجلترا في الجنوب، وتوجد بها عديد من الأنهار والبحيرات؛ مما جعلها تتمتع بثروة سمكية هائلة استغلتها البلاد في التجارة داخل أسواق أوروبا . للمزيد راجع :– Moore, *The Penguin*, p. 703.

(2) Bourquelot, *Les foires*, p.142; Sortor, *Saint Omer*, p. 44.

وفي مقدمتهم تجار مدينة برشلونة Barcelona في شمال إسبانيا – على سوق لاني[١]، أما أسواق كونتية بروفانس، وبا سيروب، فبحكم موقعهما في الجنوب، فقد تردد عليها تجار مدن مارسيليا Marseille، ومونبلييه Montpellier[٢].

وكان لأسواق بروفانس وبا سيروب أيضا النصيب الأكبر من التجارة الإيطالية والإسبانية، حيث تنقلَّ هؤلاء التجار عبر الحدود من خلال ممرات سان برنارد St.Bernard وممرات مونتي سينس Monte Seinse والتي مكنتهم من العبور على طول ساحل بروفانس– الممتد إلى شمال غرب إيطاليا وساحل المتوسط – ومنها إلى بقية أسواق شامباني شمالاً عبر أنهار الراين والسين وروافدهما [٣]، هذا بالإضافة إلى تجار من دوقية

---

(1) Heaton, H., *Economic History of Europe*, New York, 1980, p.170; Thompson, J.W., *Economic and Social History of the Middle Ages,300-1300*, Vol.2, New York,1959, p.595.

برشلونة مدينة إسبانية تقع في الجزء الشمالي الشرقي من شبه جزيرة أيبيريا Iberia على شاطئ البحر المتوسط، بين مصبي نهري يوبريجات Ubrighat وبيزيوس Bizius، تبعد حوالي ١٦٠كم عن جبال البرينييه، تعد ثاني أكبر مدن إسبانيا بعد مدريد، وهي عاصمة منطقة كتالونيا Catalonia، ويعد ميناء برشلونة الميناء الرئيس لإسبانيا على ساحل البحر المتوسط . للمزيد راجع :–

Chapman, C. E., *History of Spain*, New York, 1931, p. 2; Moor, *The Penguin*, p. 80.

(2) Boudquelot, *Les foires*, p. 143; Thempson, *Medieval Europe*, p. 566.

تقع مارسيليا في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا عند خليج ليون، تطل على البحر الأبيض المتوسط، وبها ميناء متصل به، واعتبرت من أكبر مدن إقليم بروفانس في الجنوب، وكان ميناؤها من أهم الموانئ الفرنسية، حيث عبرت من خلاله تجارة الشرق إلى الأراضي الفرنسية وأوروبا ، للمزيد راجع :–

Moore, *The Penguin*, p. 498.

أما مونبلييه فهي مدينة في جنوب فرنسا تطل على ساحل البحر المتوسط، وهي أكبر مدن إقليم لانجدوك في الجنوب، وكان ميناؤها في القرن الثاني عشر الميلادي مركزاً لنقل النبيذ الفرنسي إلى مناطق إيطاليا وشمال إسبانيا، وعبرت من خلاله أيضًا تجارة التوابل والحرير إلى أوروبا . للمزيد راجع:–

Moore, *The Penguin*, p.526.

(3) Bourguelot, *Les foires*, p.1433; Opoix, *Histoire et description*, p. 204;

عزيز سوريال عطية، *العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية– ثقافية – صليبية)*، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٢م، ص١٦٦؛ زينب أبو الأنوار، *أسواق وتجار أوروبا في العصور الوسطى*، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص١١٢.

ممرات سان برنارد ومونتي سينس، هي ممرات وأودية تخترق سلسلة جبال الألب Alps الإيطالية من الغرب إلى الشرق وتمثل طرقًا سهلة يمكن العبور من خلالها من إيطاليا إلى فرنسا، وتمتد هذه الممرات =

الفلاندرز، والتجار القادمين من الشرق عبر البحر المتوسط حتى ميناء مارسيليا، ومنه إلى أسواق المقاطعات الفرنسية [١]، وقد توافد أيضًا على أسواق كونتية شامباني كثير من تجار الأقاليم والمناطق القريبة منها، مثل تجار برجنديا Burgundy، وإقليم بيكاردي Picardie، وإقليم لانجدوك Languedoc بالإضافة إلى تجار باريس الذين ترددوا على أغلب أسواق كونتية شامباني[٢].

ب–أهم السلع:

لم تكن السلع داخل أسواق كونتية شامباني أقل تنوعًا من التجار، حيث شهدت أسواقها تدفق كثير من البضائع والسلع المجلوبة من كافة أنحاء القارة الأوروبية، ومن

= في محاذاة سهل نهر البو Po وتنحدر إلى سهل لومبارديا Lombardy ومنها إلى الحدود الفرنسية . للمزيد راجع :– جودة حسنين، *قارة أوروبا*، ص١٩٣.

(1) Bourguelot, *Les foires*, p. 143; Opoix, *Histoire et description*, p. 206; Thompson, *Medieval Europe*, p. 566.

(2) Simon, A., *History of the Champagne Trade in England*, London, 1905, p.3; Bourguelot, *Les Foires*, p. 143; Pounds, *An Economic History*, p.357;

إدوارد بروي، *القرون الوسطى*، ترجمة/ يوسف أسعد داغر، بيروت، ١٩٨٦م، ص٤٠١.

تقع منطقة برجنديا في وسط شرق فرنسا، يحدها إقليم شامباني من الشمال ومن الغرب، ومن الجنوب دوقية أكوتين Aquitaine، والحدود الألمانية من الشرق، وسميت هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى قبائل البرجنديين الجرمان، اللذين استوطناها في القرن الخامس الميلادي، وكانت منطقة زراعية واقتصادية تميزت بخصوبة تربتها وكثرت فيها مزارع الكروم. للمزيد راجع :– سعيد عاشور، *تاريخ أوروبا*، ج١، ص ٧٩. وتقع بيكاردي في شمال فرنسا بالقرب من نهر السوم Somme، وتمتد شرقًا حتى بحر الشمال ويحدها من الشمال إقليم الفلاندرز، وتبعد بيكاردي عن باريس حوالي ٧٥ ميل إلى الشمال، وعاصمة الإقليم مدينة أميان Amiens. للمزيد راجع :–Moore, *The penguin*, p.618.

يقع إقليم لانجدوك في جنوب فرنسا، ويعتبر من أهم أقاليم الجنوب، عاصمته هي تولوز Toulouse، وتمتد حدود لانجدوك من وادي الرون في الشرق إلى نهر الجارون Garonne في الغرب، ويحده جنوبًا ساحل البحر المتوسط ، وتتصل حدودها الشرقية بالريفيرا الإيطالية Riviera، ومن الشمال إقليم أكوتين، أما عن مدينة تولوز العاصمة، فهي تقع في جنوب غرب فرنسا بالقرب من الحدود الإسبانية على ضفاف نهر الجارون، وهي من أهم مدن الإقليم، وتتصل عن طريق البحر المتوسط بشمال إسبانيا وكانت معبرًا للتجار الإسبان القادمين إلى بروفانس وبقية أسواق فرنسا، للمزيد راجع :–

Moore , *The Penguin*, p.441;

أسامة إبراهيم حسيب، "مقاطعة لانجدوك بجنوب فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي"، ***مجلة كلية الآداب جامعة بنها***، العدد٢٤، يناير ٢٠١١م (٧٣٣–٨٢٢)، ص ٧٣٥.

منتجات بلاد الشرق، وبحسب الموقع الجغرافي لكل سوق من أسواق شامباني نجد أنها قد شهدت رواجًا لبعض السلع دون الآخرى، ويرجع ذلك التنوع إلى اختلاف جنسيات التجار داخل أسواقها، فالناظر إلى سُوقى تروا، وهما سوق القديس يوحنا المعمدان John The Baptist، وسوق القديس ريمي Saint Remy يجد أن أكثر السلع في هذين السوقين هي السلع الغذائية كالحبوب والفاكهة، خاصةً في سوق القديس يوحنا المعمدان، والذي كان مقررًا له شهر يونيو من كل عام؛ لذا عرف بالسوق الحار؛ لارتباطه ببداية أشهر الصيف[١]، فضلاً عن أن السلع المشار إليها كانت تقل تدريجيًا في فصل الشتاء[٢]، وقد قدرت حجم السلع من الحبوب والفاكهة والنبيذ والملح داخل سوق القديس يوحنا في تروا بحوالي ثلاثة عشر ألف جروس توري Gros de Tournois كان يتم تداولها داخل هذا السوق[٣]، في

---

(1) Oliver, J., Holmes, E., *A Source Book for Medieval History*, Boston, 1905, p. 337; Bourquelot, *Les foires*, p.107.

(2) *Extent of the Lands of the County of Champagne*, in: Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 377; Lavisse, E., *Histoire de France*, Paris, 1913, p. 42.

كان لسُوقي تروا دورتان، الأولى تبدأ في شهر يوليو، وتستمر حتى منتصف أغسطس، وعُرف بسوق القديس يوحنا المعمدان، كان هذا السوق يقام بعد الاحتفال بعيد ميلاد القديس يوحنا المعمدان في الرابع والعشرين من شهر يونيو من كل عام، وكان يشهد إقبالًا كبيرًا من الزوار والتجار، وكثرت فيه السلع الغذائية كالحبوب والفاكهة والتي كانت تقل في فترات الشتاء، عُرف السوق الثاني باسم سوق القديس ريمي، حيث أقيم ملازمًا للاحتفال بعيد ميلاده في أواخر شهر أكتوبر من كل عام، وعُرف هذا السوق أيضًا باسم السوق البارد؛ لارتباطه بأشهر الشتاء، كان يبدأ في الثاني من نوفمبر، ويستمر حتى منتصف ديسمبر لينتهي قبل احتفالات عيد الميلاد بقليل. للمزيد راجع:-

Extent of the Lands of the County of Champagne, in: Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 377; Bourquelot, *Les foires*, p. 129.

(3) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 378, Simon, *History of the Champagne Trade*, p. 41.

والجروس التوري– كلمة جروس في الفرنسية تعني سميك، وهو عملة أصدرها لويس التاسع Louis IX ملك فرنسا (١٢٢٦–١٢٧٠م) وكانت من الفضة، وتساوي اثنى عشر دينارًا، والدينار وحدة وزن تساوي عشرين سوس Sous، والأخيرة مشتقة من الكلمة اللاتينية صولدي Solidus – وكان قطر هذا الجروس خمسة وعشرين ميلليمتر، ووزنه حوالي أربعة جرامات، ونُقش على وجهه ثلاث دوائر، الأولى تلامس حافة العملة الخارجية، وفي الدائرة الوسطى كتب اسم الحاكم مع بعض الرموز مثل الصلبان الصغيرة، أما الدائرة الداخلية وهي الصغرى نقش بداخلها صليب، وعلى ظهر العملة نقش اسم المدينة التي سكت فيها، وهي مدينة تورTour الفرنسية . للمزيد راجع :– محمود سعيد عمران، *النقود في أوروبا في العصور الوسطى*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١١م، ص٨٨ .

حين نجد أن سوق القديس ريمى في تروا، فقد انتشرت فيه سلع كالتوابل والفلفل الحار والبهارات المجلوبة من بلاد الشرق عبر الموانئ الجنوبية لفرنسا حيث أسواق بروفانس، وتداولها التجار الإيطاليون في كافة أسواق شامباني، وكانت هذه التوابل تعوض الحرارة الناقصة لدى الأوروبيين بسبب برودة الجو، كما استخدموها أيضًا في صناعة الأدوية[١]، كما شهد هذا السوق تداول كميات كبيرة من الأقمشة الفلمنكية المصنوعة من الصوف، والتي جلبها تجار الهانزا الألمانية وتجار الفلاندرز المترددون عليه[٢]، حتى أن حجم البضائع الواردة إليه قدرت بحوالي أربعمائة ألف جروس توري، كان معظمها من التوابل والأقمشة الصوفية؛ وذلك بسبب الطلب المتزايد عليها في فصل الشتاء[٣]، وحجم المبيعات داخل سوق تروا يدل دلالة واضحة على أنه يعد واحدًا من أهم أسواق كونتية شامباني، تلك الكونتية التي تميزت بموقع جعلها همزة وصل بين تجار مناطق الهانزا الألمانية وإقليم الفلاندرز، هذا بالإضافة إلى أن تجار مدينة سانت أومير بالفلاندرز قد جلبوا كميات كبيرة من أسماك الشمال إلى أسواق تروا[٤]، أما عن سوق لاني الذي كان يعقد في موسم الاحتفال بعيد الميلاد – شهر ديسمبر من كل عام– فقد تنوعت فيه السلع المجلوبة من كافة أرجاء

---

(1) Clive, D., *History of Commerce*, London, 1950, p. 67; Bourquelot, *Les foires*, p.133; Simon, *History of the Champagne Trade*, p. 24;

كزارا فريد، *التوابل*، ترجمة/ إيزاميرالد حميدان، أبو ظبي، ٢٠١٠، ص٥٧.

لعب التجار الإيطاليون الدور الأكبر في جلب هذه التوابل من مصر، والإمارات الصليبية في بلاد الشام، ومن آسيا الصغرى إلى الموانئ الإيطالية على البحر المتوسط، ومن ثم تجتاز جبال الألب ومنها تنحدر إلى موانئ جنوب فرنسا، خاصةً ميناء مرسيليا حيث كانت ترسو فيه السفن المحملة بأطنان من هذه التوابل والبهارات، من أشهرها، الزعفران والقرنفل والزنجبيل والعود والقرفة وجوزة الطيب، ومن ثم يتناقلها التجار إلى معظم أسواق شامباني، ومنها إلى أسواق الفلاندرز ومناطق الشمال الأوروبي، حيث الطلب المتزايد عليها، فمعظمها كان يستخدم في الطهي، وحفظ الأطعمة، وصناعة العقاقير الطبية وكعلاج لبعض الأمراض. للمزيد راجع :– الدمشقي (أبو الفضل جعفر بن علي، ت أواخر القرن الحادي عشر الميلادي)، *الإشارة إلى محاسن التجارة*، تحقيق/ البشري الشوربجي، القاهرة ١٩٧٧م، ص ص ٢٣–٢٥؛ هايد، *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، ج ٤، ترجمة/ أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٧٧؛ سونيا هاو، *في طلب التوابل*، ترجمة/ محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٤٤.

(2) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 378; Opoix, *Histoire et description*, p. 209.

(3) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 378; Bourquelot, *Les foires*, p. 108.

(4) Sortor, *Saint Omer*, p. 44; Omond, *Bruges*, p. 48.

أوروبا، وتردد عليه كثير من التجار مع اختلاف بضائعهم[١]، فإلى جانب الأقمشة الصوفية المجلوبة من الفلاندرز، انتشرت الجلود والفراء المجلوبة بواسطة تجار سانت أومير وتجار النرويج[٢]، جلب هؤلاء إلى سوق لاني في القرن الثاني عشر الميلادي العديد من السلع مثل فراء الدببة وجلود الغزلان، بالإضافة إلى بعض المعادن، مثل الحديد الذي استخدم في صناعة المحاريث الزراعية وسيوف الحرب، هذا إلى جانب الأسماك التي كانت بمثابة السلعة الأساسية التي صدروها إلى الأسواق الفرنسية[٣]، وكان من بين البضائع التي جاء بها تجار النرويج إلى سوق لاني وبقية أسواق فرنسا، زيوت الأسماك التي تستخدم في التداوي والشفاء من أمراض ضعف البدن والوهن والتهاب المفاصل[٤]، أما تجار مملكة إنجلترا وأيرلندا فقد جلبوا إلى سوق لاني العسل والفراء والجبن، وعادوا محملين منها بالنبيذ والملابس الفلمنكية[٥]، وتدفق كثير من السلع الأسكتلندية ومناطق البلطيق إلى سوق لاني في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هذه السلع الشمع والفراء والعسل والقمح، بالإضافة إلى الملح المستخدم في حفظ الأسماك، في المقابل حصلوا على النبيذ الفرنسي والفاكهة والأقمشة الصوفية[٦]، وجاء التجار الإيطاليون إلى سوق لاني ومعهم السجاد وبعض المنسوجات الحريرية والمشغولات الذهبية والتوابل المجلوبة من بلاد الشرق[٧]، وحمل التجار الإسبان إلى سوق لاني كميات كبيرة ومتنوعة من الجلود المدبوغة وغير المدبوغة ومنها الجلد القرطبي "Cordovean" الذي يأتي من برشلونة[٨]، بينما تجار لومبارديا ونورماندیا

---

(1) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 379; Pounds, *An Economic History*, p. 355.

(2) Bourquelot, *Les foires*, p. 135; Simon, *History of the Champagne Trade*, p. 44.

(3) Woolf, A.,"*The Wood Beyond the World Jamtland and the Norwegian Kings*". in: Barbara Crawford (ed), *The Northern World North Europe and the Baltic 400-1700 AD, Peoples, Economics and Culture*, Boston,2007, p.157.

(4)James, B., "*The Pirate Fishermen: The Political Economy of A Medieval Maritime Society*". in: Barbara Crawford (ed), *The Northern World*, pp.299-340, esp.319.

(5) Cave R.C, Coulson H.H., *A Source Book for Medieval Economic History*, New york,1961.,p.103; Giraldus, C., *The Topography of Ireland*, p.21.

(6) Bourquelot, *Les foires*, p.137; James, "*The Pirate Fishermen*", p.315.

(7) Bourquelot, *Les foires*, p.138; Clive, *History of Commerce*, p.67.

(8) Thompson, *Economic and Social History*, p.595.

أما عن الجلد القرطبى فهو نوع مشهور من الجلود في العصور الوسطى، وهو غالبًا كان يستخرج من جلود الخيول، وسمى بالقرطبى نسبة إلى مدينة قرطبة Cordova في جنوب إسبانيا، حيث استخدم لأول مرة =

جلبوا الخيول المستخدمة في الحروب والثيران المستخدمة في الجر والحمل إلى سوق لاني[١].

وبهذا نجد أن هذا السوق قد تنوعت فيه السلع، وشهد تدفق الكثير منها سواء من سلع الشرق والغرب على السواء؛ مما كان له أثره الإيجابي في إكساب أسواق شامباني شهرة كبيرة، أما عن أسواق بروفانس وباسيروب، فقد شهدت هي الأخرى تنوعًا في السلع والبضائع، ونشطت فيها الحركة التجارية بشكلٍ ملحوظ، فبحكم موقعها في جنوب فرنسا، فقد تدفقت إليها أغلب سلع حوض البحر المتوسط مثل الفاكهة والسلع الغذائية كالحبوب مثل القمح، خاصةً في سوق سانت كورياك Saint Quiriace[٢].

وكان للتجار الإيطاليين والإسبان نشاط تجاري مهم داخل أسواق بروفانس وبارسيروب، وكان ميناء مارسيليا همزة الوصل بين هؤلاء التجار وبين أسواق جنوب

= من قبل القوط الغربيين في القرن السابع الميلادي، واستخدم هذا الجلد في صناعة الأحذية والأحزمة والحقائب. للمزيد راجع:- أوليفار ريمي كونستابل، *السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط*، ترجمة/ محمد الطاهر المنصورى، بنغازى، ليبيا، ٢٠١٣م، ص ٤٦٠-٤٦١ .

(1) Borquelot, *Les foires*, p.141; Painter, *History of the Middle Ages*, p.225.

سميت لُومبارديا بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة اللومبارديين الجرمانية، التي أسست دولة لها في شمال إيطاليا في القرن السادس الميلادي، وكان اللومبارديون من أهم الشعوب التي اهتمت بسن وتدوين القوانين القبلية الخاصة بهم لدى احتكاكهم بالعالم الروماني في إيطاليا، وقد تمتعت منطقة لومبارديا بموقع جغرافي فريد، حيث كانت تقع بين جبال الألب Alps والأبنين Apennines، وقد اتصلا سويًا بنهر البو Po وروافده التي تتفرع منه، واتخذ اللومبارديون من بافيا Pavia عاصمةً لهم. للمزيد راجع:- Moore, *The penguin*, p.439;

محمد زايد عبد الله، *جوانب من حضارة أوروبا في العصور الوسطى*، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٢٢٩؛ جودة حسنين، *قارة أوروبا*، ص ١٨٨.

(2) Opoix, *Histoire et description*, p. 192.

أقيمت في بروفانس دورتان للسوق، في الأولى كان السوق يبدأ في منتصف شهر مايو وحتى نهاية شهر يونيه، وقد عُرف هذا السوق بسوق سانت كورياك؛ وذلك لأن السوق كان ينعقد ويقام في ساحة كنيسة القديس كورياك، وهي إحدى الكنائس الكبيرة، الموجودة داخل بروفانس، وقد احتوت على ضريح لهذا القديس، أما السوق الثاني لبروفانس فقد عُرف بسوق القديس أُول Saint Auoul، وكان يقام في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر في ذكرى وفاة القديس أُول في ذلك التوقيت، حيث أقيم السوق حول ساحة الكنيسة التي تضم رفاته، أما سوق باسيروب يبدأ في الأسبوع الأول من شهر مارس ويستمر إلى أول مايو. للمزيد راجع:- Bourquelot, *Les foirs*, p.157; Opoix, *Histoire et description*, p.194.

فرنسا[١]، وحمل هؤلاء التجار معهم أغلب منتجات الشرق من التوابل ومواد الصباغة والمشغولات الذهبية والفضية والأحجار الكريمة والمنسوجات الحريرية والشب والكتان والعطور الشرقية والتي شهدت إقبالًا كبيرًا عليها، خاصةً من النساء، وكان أغلب التجار من جنوة والبندقية [٢].

وعلى سبيل المثال في عام ١٢٤٨م اشترك عدد من تجار جنوة في تجهيز ثلاث سفن كبيرة بها كميات هائلة من الفلفل والتوابل والمنسوجات الحريرية، وسلع أخرى من الشرق إلى بروفانس وبا سيروب[٣]، وكان سوق سانت أُول في بروفانس تُباع فيه الأصواف والأقطان واللباد الإيطالي بالجملة بجانب الفاكهة والحبوب والسلع الغذائية والنبيذ[٤]، بالإضافة إلى الخيل التي جُلبت من إيطاليا، ومن بقية أسواق شامباني[٥]، وجلب تجار الهانزا الألمانية الجلود والفراء والعسل من أسواق الشمال إلى بروفانس وباسيروب[٦]، وجاء كثير من تجار مونبيلييه إلى أسواق بروفانس وباسيروب حاملين معهم منتجات وسلع كالحرير والأصواف والأقطان[٧]، بالإضافة إلى تجار مدينة تولوز Toulouse الذين جلبوا الفراء والتوابل والملح وبعض منتجات بلاد الشرق مثل الحرير والفلفل والكتان والأُقمشة الإيطالية، وقايضوا هذه السلع بالنبيذ الفرنسي– المستخرج من مزارع الكروم في إقليم جاسكوني المشهور بجودة نبيذه – وبالأصواف والمنسوجات القادمة من إقليم الفلاندرز، وتردد تجار من باريس على أسواق

---

(1) Blancard, L., *Documents inédits le commerce de Marseille au moyen âge*, 2 Vols. Marseille, 1884, Vol. 1, p. 16.

(2) Bourquelot, F., *Histoire de Provins*, 2 Vols. Paris, 1840, Vol. 2, p. 379; Blancard, *Documments inédits*, Vol. 1, p. 304.

من الأحجار الكريمة التي جلبها تجار المدن الإيطالية من الشرق، كان الزمرد والياقوت، المستخرج من بلاد النوبة ومن آسيا، وبلاد الهند والصين نقله التجار إلى فرنسا حيث سارع الأمراء والنبلاء والأثرياء إلى اقتنائه، واستخدمته النساء في الزينة في أوروبا العصور الوسطى. للمزيد راجع:– هايد، *تاريخ التجارة*، ج٤، ص١٦٠.

(3) Bourquelot, *Histoire de Provins*, Vol. 2, p. 379; Blancard, *Documments inédits*, Vol. 1, p. 30.

(4) Opoix, *Histoire et description*, p. 193; Bourquelot, *Histoire de Provins*, Vol. 2, p. 379.

(5) Bourquelot, *Les foires*, p. 103; Cilve, *History of Commerce*, p. 68.

(6) Blancard, *Documents inédits*, Vol. 1, p. 306; Lavise, *Histoire de France*, p. 42.

(7) German, A., *Histoire de la commune de Montpellier*, 2 Vols. Montpellier, 1854, Vol. 1, p. 520; Borquelot, *Les foires*, p. 103.

بروفانس وباسيروب محملين بالجلود وبعض السلع الغذائية المحلية كالزبدة والحبوب والدواب، مقابل التزود بالسلع الموجودة في جنوب فرنسا مثل المنسوجات الصوفية والحرير والمشغولات الذهبية والتوابل(١)، وشهدت بروفانس وبارسيروب قدوم تجار من الشمال خاصةً من مدينة آراس في الفلاندرز، والذين باعوا الأقمشة الفلمنكية الشهيرة، وقدرت كمية الأقمشة الفلمنكية المجلوبة إلى أسواق بروفانس وباسيروب بحوالي ٤٠٠ ألف جروس توري، وهذا يعكس الطلب المتزايد عليها(٢)، في المقابل حصلوا على النبيذ، الملح، والمشغولات الذهبية والفضية، والمنسوجات الحريرية والتوابل، والتي جلبها تجار إيطاليا من الشرق إلى بروفانس(٣)، فضلًا عن ذلك تردد تجار مملكة إنجلترا ومعهم العسل والفراء، وبادلوها بالتوابل والأقمشة الإيطالية والنبيذ الفرنسي(٤).

ولابد من الإشارة إلى سلعة أخرى تم تداولها داخل أسواق شامباني، وهي تجارة العبيد commerce des esclaves والتي كانت منتشرة في غرب أوروبا في العصور الوسطى، حيث شهدت أسواقها بيع العبيد، خاصةً داخل مملكة إنجلترا، والتي كان تجارها يصدرون تجارتهم إلى أسواق فرنسا وألمانيا وغيرها من دول أوروبا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، حتى أن مدينة بريستول Bristol الإنجليزية كانت تعتبر سوقًا ومركزًا لتصدير العبيد إلى أرجاء القارة الأوروبية(٥)، والدليل على تداول تجارة العبيد في فرنسا وجود إشارات مصدرية ووثائق تاريخية تدعم ذلك، منها ما حدث عام ١٢٤٨م من بيع إحدى الفتيات المسلمات داخل مدينة مارسيليا وتدعى عائشة Aissa، والتي تم بيعها مرتين، الأولى في مايو ١٢٤٨م مقابل تسعة جنيهات، وكان مما جاء في الوثيقة: "قمنا نحن وليم

---

(1) Opoix, *Histoire et description*, p. 196.
(2) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p.378.
(3) Bourquelot, *Histoire de Provins*, Vol.2, p.385, Bourquelot, *Les foires*, p.143.
(4) Simon, *History of the Champagne Trade*, p.61.
(5) William of Malmesbury, *Chronicle of the Kings of England from the earliest period to the Reign of King Stephen*, trans. By J.A. Giles, London, 1847, Book II, p. 222; W. Cunningham, *The Growth of English Industry and Commerce During the Early and Middle Ages*, Cambridge University Press, 1890, p.82.

تقع مدينة بريستول في جنوب غرب إنجلترا، وهي ميناء بحري ومركز صناعي مهم، تقع على نهر أفون Avon وبها قناة مائية مهمة، وبدأت نشاطها التجاري مع نهاية حكم الأنجلوسكون Anglo-Saxons في القرن الحادي عشر، وبلغ هذا النشاط ذروته في القرن الثاني عشر الميلادي. للمزيد راجع :-
Moore, *The Penguin*, p. 125.

أليجنان William Alegnan، وبرنارد مُت Bernard Mute، ومن غير مكر منا ببيع عبدة مسلمة تُدعى عائشة إلى المدعو جون ألميان John Aleman ابن بطرس ألميان Peter Aleman وذلك مقابل تسعة جنيهات، والثانية في يوليو من العام نفسه بمبلغ عشرة جنيهات فحسب"[١]، ويتضح من خلال صك البيع الأول والثاني تحقيق ربح من خلال المعاملات التجارية في بيع العبيد، وكذلك توفرت تلك التجارة في الأسواق الفرنسية، سواء أكان ذلك في الشمال أم في الجنوب، وإن لم تكن الفقرة قد أشارت من أين جاءت هذه السيدة أو إلى أصولها بخلاف أنها مسلمة، لكن من المرجح أن التجار الإيطاليين خاصةً تجار مدينة جنوة الذين كانوا يجلبون العبيد من بلاد الشرق الأدنى إلى غرب أوروبا قد جلبوا هذه السيدة إلى جنوب فرنسا خلال تجارتهم وتنقلاتهم داخل أسواق شامباني[٢].

ج- ترتيبات السوق:

اتضح كيف أن الأسواق الموسمية في فرنسا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين قد قامت بصفة أساسية على تجارة الجملة، حيث إنها كانت تعقد في مواسم معينة من العام – كما سبقت الإشارة إليه سلفًا- واتسمت بالصفة الدولية، حيث قصدها التجار من كافة أنحاء أوروبا، وكانت التعاملات داخلها على نحو رئيس في البضائع التي لا يمكن الحصول عليها محليًا[٣]، وقدم التجار إليها في أعداد كبيرة، ومن أماكن بعيدة لممارسة التجارة على نطاق واسع، وكان قدومهم إلى مكان انعقاد السوق يسبق بدء افتتاحه بحوالي

---

(1) *Vente d'une esclave sarrasine nommée Aïssa*, in: Blancard, *Documents inédits*, Vol. 2, p. 172.

(2) Opoix, *Histoire de Provins*, p.196;. هايد، *تاريخ التجارة*، ج٤، ص ٥٢- ٥٦

تعتبر جنوة من أوائل المدن التجارية الإيطالية التي شاركت في تجارة الرقيق، فقد حصلت على الرقيق من مستعمرتيها كييف Kiev وتانا Tana في جنوب روسيا، وأيضًا كانت عكا سوقًا رائجة لتجارة الرقيق الذين جلبهم التجار الإيطاليون من منطقة البحر الأسود وبلاد اليونان وبلغاريا، أو الذين تم أسرهم في الحروب. للمزيد راجع:- =

= Smith, J. R., *The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem*, 1174-1277, London, 1973, p. 62;

عادل زيتون، *العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى*، دمشق، ١٩٨٠م، ص١٧٩؛ حاتم عبد الرحمن الطحاوي، *الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام*، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٩٢.

(3) Cave and Coulson, *A source Book*, p. 112; Bourquelot, *Les foires*, p. 29.

أسبوع، وذلك من أجل إعداد وتهيئة بضائعهم بتفريغها، وتنظيمها تمهيدًا لعرضها داخل السوق بعد الانتهاء من مراسم الافتتاح(١).

- مراسم الافتتاح:

كانت المعاملات التجارية داخل أسواق شامباني، تسير وفق قواعد ونظم معينة، حيث كان أسقف المدينة المنعقد فيها السوق يعلن عن بدء انعقاده، ليتم مباركته، ثم بعد ذلك تقرع الأجراس مثلمًا حدث في سوق تروا في عام ١١٧٠م، حيث أعلن الأسقف وليم Guillame رئيس أساقفة شامباني، من أمام كنيسة المدينة عن بدء فعاليات السوق، وبعدها تم دق الأجراس حيث كان السوق ينعقد وينفض يوميًا عن طريق قرع الأجراس(٢)، ولا يجوز التعامل التجاري في السوق إلا في الفترة المحددة بين دق الأجراس في الصباح للتنبيه ببدايته، وفي المساء لمعرفة وقت انتهائه(٣)، أما عن فترة انعقاد السوق؛ فقد كانت أسواق شامباني تستمر حوالي ستة أسابيع، وقد خصصت لكل سلعة من السلع داخل السوق عدة أيام، فبعد افتتاح السوق يقوم التجار بعرض سلعهم داخل الدكاكين، التي كانت تُبنى من قبل السلطات الحاكمة مقابل تحصيل إيجارات سنوية – سوف يتم الحديث عنها لاحقًا – والممتدة في السوق في هيئة صفوف متراصة على جانبي السوق على طول الشارع المقام به(٤)، فعلى سبيل المثال كان سوق القديس كورياك في بروفانس يقام في شارع عرف باسم شارع كولوازون Culoison، وكان عبارة عن شارع طويل امتدت على جانبيه الحوانيت والدكاكين التي خصص كل منها لسلعة معينة(٥)، وخصصت الأيام العشرة الأولى لبيع الملابس والمنسوجات الصوفية القادمة من الفلاندرز وبقية أوروبا، ثم تباع الجلود والفراء – خاصةً الجلود القرطبية – في الأيام العشرة الثانية، كما حدث في أسواق بروفانس حيث شهدت رواجاً كبيرًا للسلع الإيطالية الإسبانية، وعلى رأسها الجلود القرطبية(٦)، تبعتها تسعة عشر

---

(1) Simon, *History of the Champagne Trade*, p. 99;

سعيد عاشور، *تاريخ أوروبا*، ج ٢، ص ١١٨.

(2) Bourquelot, *Les foires*, p. 105, Oliver and Holmes, *A Source Book*, Vol. 2, p. 374.

(3) Thompson, *Medieval Europe*, p. 566;.١١٩

سعيد عاشور، *تاريخ أوروبا*، ج٢، ص

(4) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p.376;

سعيد عاشور، *تاريخ أوروبا*، ج٢، ص ١١٩.

(5) Bourquelot, *Les foires*, p. 157; Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 378.

(6) Opoix, *Histoire et description*, p. 195; Bourquelot, *Histoire de Provins*, Vol. 2, p. 380.

يومًا لعرض وبيع السلع الآخرى المتنوعة، والتي توزن وتكال مثل المواد الغذائية من الحبوب والفاكهة والعسل والجبن والأسماك والنبيذ والملح والتوابل والمشغولات الذهبية والفضية، وغيرها من السلع، وأخيراً تُترك خمسة أيام للتجار من أجل تسوية حساباتهم ومراجعتها، مع مراعاة ختم الصكوك والعقود والمستحق دفعها بختم السوق[١]، وكان ممثلو الكونت المقام على أرضه السوق يعملون مع الحراس على حفظ الأمن داخل السوق؛ مما ييسر البيع والشراء بداخله، ولم يكن يسمح لأي تاجر بإشاعة الفوضى، ومنْ يفعل ذلك يتعرض للعقوبة، ولم يكن مصرحًا لأي شخص بممارسة العمليات التجارية خارج نطاق السوق، طالما كان السوق في حالة انعقاد، وأن أي شخص تضطره الظروف لذلك، فعليه أن يدفع غرامة مالية لإدارة السوق[٢]، وكان من ضمن ترتيبات السوق، تنظيم عملية البيع داخل الأسواق، ومنها السماح للتجار بممارسة عمليات البيع والشراء داخل ساحات السوق والقاعات والدكاكين التي تم تأجيرها لهم، بالإضافة إلى تخصيص أماكن لوزن السلع والبضائع داخل السوق[٣]، وكان عملاء وموظفو الكونت يسجلون بالتفصيل إيرادات التجار ليضمنوا جمع الضرائب المستحقة دون ظلم لهم أو إجحاف[٤]، وكان التاجر بعد عرض سلعته داخل السوق– وفي المكان المخصص لذلك – يقوم بعملية النداء على سلعته حتى تحظى بإقبال وجلب المشترين إليها، وكان التاجر يقوم بذلك بنفسه، أو يكلف شخصًا آخر في بعض الأحيان بهذه المهمة، وبهذا يتجمع الناس حول السلعة، ويبدأون في فحصها وشرائها[٥]،

ومما سبق، يتضح لنا عدة أمور أهمها، أن هذه الأسواق كانت تصبغ بالصبغة الدينية والمتمثلة في افتتاح الأساقفة لها، ومن ثم انعقادها حول ساحات الكنائس ومباركتها؛ ليأخذ التجار والمترددون عليها العظة، ذلك لأن الجانب الديني أو ظهور الأساقفة في تلك المناسبات يعطي قدسية واحترامًا للمكان المنعقد به السوق؛ لأن لهؤلاء الأساقفة مكانة خاصة بين الناس، حتى تتفادى الأسواق عمليات السرقة وغش السلع، وعدم ارتكاب الجرائم

---

(1) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 379; Pounds, *An Economic History*, p. 357.
(2) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 379.
(3) Bourquelot, *Les foires*, p. 113.
(4) Jubainville, *Histore des duces*, Vol. 111, p. 228.
(5) Boissonnade, P., *Life and Work in Medieval Europe*, London, 1954, p. 172; Jubainville, *Histore de duces*, Vol. 21, p. 235.

من ناحية، ومن ناحية أخرى أبرزت التنسيق والتعاون القائم بين السلطة الدينية والسلطة المدنية (العلمانية) داخل فرنسا، والنفوذ الذي تتمتع به السلطات الدينية داخل المملكة.

د – نظم التعامل:

تنوعت في أسواق شامباني نظم المعاملات التجارية بين التجار المترددين عليها، سواء من الأجانب أو المحليين، وكان من الطبيعي أن تشهد هذه الأسواق عددًا من تلك النظم؛ وذلك لتنوع جنسيات التجار داخلها، فالتاجر الأجنبي القادم إليها كان يتعامل مع نظيره المحلي إما بمبادلة سلعة بسلعة، أو يبتاعها منه ببعض النقود، أو ما عرف بصكوك الدين، وفيما يلي عرض لأهم هذه النظم داخل أسواق شامباني، وعمل هؤلاء التجار على تطويرها شيئًا فشيئًا حتى يتم تسهيل سير العمليات التجارية فيما بينهم داخل تلك الأسواق ومن هذه النظم:–

- **نظام المبادلة (المقايضة):**

وهو من أبرز النظم التي سادت أسواق أوروبا في العصور الوسطى، ومنها أسواق شامباني، وهو نظام قديم تم استخدامه نتيجة لقلة أو لعدم انتشار التعامل النقدي من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن الدافع الرئيس للنشاط التجاري يرجع إلى وجود مجتمعين أو أكثر ينتج كل منهما نوعًا خاصًا من المنتجات والسلع التي يحتاج إليها غيره مما يحتم على كل مجتمع مبادلة الفائض من إنتاجه بما يحتاجه من إنتاج المجتمع الآخر، وقد عرفت أسواق شامباني هذا النوع في بدايات القرن الثاني عشر الميلادي، وذلك لتنوع السلع داخلها، وتنوع التجار الوافدين إليها[١]، حيث كانت تتم داخلها مقايضة السلعة بالسلعة، كما تم مبادلة غنائم الحروب ببعض السلع، ومن ذلك ما فعله تجار مدينة تولوز داخل سوق القديس كورياك في بروفانس، حيث جلبوا سلعهم والمتمثلة في الفراء والتوابل وبعض منتجات الشرق مثل الحرير والكتان والأقمشة الإيطالية، والتي بادلوها بالنبيذ الفرنسي والمنسوجات الصوفية القادمة من الفلاندرز[٢]، وقايض تجار مملكة إنجلترا سلعهم التي جلبوها إلى أسواق بروفانس أيضا مثل العسل والفراء، بالتوابل والنبيذ الفرنسي والأقمشة الإيطالية[٣]، وبادل تجار الأقاليم والمدن

---

(1) Bourquelot, *Les foires*, p. 109; Pounds, *An Economic History*, p .357; سعيد عاشور، *تاريخ أوروبا*، ج٢، ص ٩٧.

(2) Borquelot, *Histoire de Provins*, Vol. 2, p. 380; Lavisse, *Histoire de France*, p. 55.

(3) Simon, *History of the Champagne trade*, p. 61.

الفرنسية مثل باريس وغيرها سلعهم المحلية في با سيروب وبروفانس بالتوابل والمشغولات الذهبية والفضية، وكذلك فعل تجار مونبيلييه[١].

وداخل أسواق تروا مثلت الحبوب والفاكهة وبقية السلع الغذائية عامل جذب للتجار الأجانب المترددين على هذه الأسواق، والتي شهدت تنوعًا في السلع سواء المحلية أو المجلوبة إليها، حيث بادل تجار سانت أومير سلعهم من الأسماك والأقمشة الصوفية بتلك الحبوب والنبيذ الفرنسي والتوابل الحارة والبهارات التي اشتهرت بها أسواق تروا[٢]، وكذلك فعل تجار الهانزا الألمانية، فقايضوا سلعهم المتمثلة في الفراء والشمع والعسل والأقمشة بالملح والنبيذ الفرنسي والحبوب والتوابل[٣]، كما شهدت بعض أسواق شامباني مبادلة غنائم الحروب وأدوات القتال ببعض السلع حيث كان يتم مقايضة سيوف الحروب التي جلبها تجار النرويج إلى أسواق تروا ولاني بالتوابل والبهارات والأحجار الكريمة المجلوبة إلى أسواق فرنسا من بلاد الشرق[٤]، وقايض بعض التجار المحليين الدروع والأحزمة المتينة المصنوعة من الجلد القرطبي – والتي تشد إلى وسط الفارس في الحروب– بالنبيذ وبعض السلع المحلية والعطور المجلوبة إلى أسواق بروفانس[٥]، وهكذا نجد أن نظام المبادلة قد فرضه الواقع التجاري السائد في مجتمعات العصور الوسطى قبل القرن الحادي عشر الميلادي والمتمثل في كثرة المعروض من الإنتاج مع قلة النقود المتداولة، وظل سائدًا في بدايات القرن الثاني عشر الميلادي داخل أسواق شامباني، لكن مع تطور هذه الأسواق وتزايد المترددين عليها من أنحاء أوروبا وازدهار النشاط التجاري داخلها بدأت تزداد أهمية التعامل النقدي خاصةً بعد انتشار النقود وتداولها بين مختلف التجار الأجانب القادمين إلى شامباني.

- **العملة:**

كان النظام النقدي في غرب أوروبا منذ بداية العصور الوسطى قد ورث النظام النقدي الذي وضعه الإمبراطور البيزنطي دقلديانوس Diocletianus (٢٨٤–٣٠٥م)، ومن بعده الإمبراطور قسطنطين الأول Constantine I (٣٠٦– ٣٣٧م) والذي قام على أساس ما عُرف بالصولدي الذهبي Golden Solidus، والذي ظل معمولًا به في غرب أوروبا حتى

(1) Opoix, *Histoire et description*, p. 196; German, *Histoire de la commune de Montpellier*, Vol. 1, p. 520.
(2) Sortor, *Saint Omer*, p. 45.
(3) Bourqelot, *Les foires*, p. 109; Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 378.
(4) Woolf, "The Wood beyond the World", p. 44.
(5) Bourquelot, *Histoire de Provins*, Vol. 2, p. 383.

القرن التاسع الميلادي حين حدث انفصال نقدي بين الشرق والغرب؛ بسبب الإصلاحات النقدية التي قام بها شارلمان، حين ألغى فكرة الاعتماد على معيار الصولدي الذهبي الذي كان يُسك في الإمبرطورية البيزنطية لندرة معدن الذهب آنذاك[١]، وبدأ بوضع قواعد نقدية جديدة تعتمد على الليرة Lirre الكارولنجية، وكانت من الفضة، ثم استبدلها بعملة أخرى عرفت باسم الدينار Denier، وظل هذا الأخير معيارًا للعملة في إمبراطورية شارلمان، وانتشر في غرب أوروبا بعد وفاته وتفكك إمبراطوريته، وظل الصولدي الذهبي مجرد عملة حسابية، لكن الدينار كان هو المتداول في المعاملات التجارية في غرب أوروبا[٢]، ولم يرجع الغرب الذي سادت فيه العملة الفضية، إلى سك عملات ذهبية إلا في القرن الثالث عشر الميلادي؛ وذلك بعد أن أخذ الميزان التجاري في غرب أوروبا في التحسن مع انتعاش الأسواق منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وبصفة خاصة أسواق المملكة الفرنسية، وقد استفادت المدن الإيطالية كثيرًا من هذا الانتعاش الاقتصادي باعتبارها الوسيط التجاري بين الشرق والغرب آنذاك، وظهرت عملات مثل الفلورين Florine، والدوكات Ducat في عالم البحر المتوسط[٣].

---

[٤] محمود عمران، *النقود*، ص٦٧.

الصولدي، كلمة لاتينية تعني باليونانية نوميزماتا nomisma أي العملة – ولعل علم النميات قد اشتق من هذه الكلمة – وهي عملة من الذهب الخالص، تزن أربعة جرامات وثلاثة وأربعين جزءًا من الجرام تقريبًا. للمزيد راجع:-

Frey, A. R., *Dictionary of Numismatic Names*, New York ,1947, p. 227;

رأفت محمد النبراوي، *النقود الصليبية في مصر والشام*، مكتبة القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١٧٨؛ عمران، *النقود*، ص ٦٨.

كان سك العملات الذهبية قليلًا في غرب أوروبا منذ القرن التاسع الميلادي؛ وذلك نتيجة لندرة الذهب، وأيضًا عامل الدين، حيث جرى العرف الوثني الذي استمر بعد اعتناق المسيحية على دفن الزعيم الجرماني مع حليه الذهبية، والتي كانت تدخر لهذا الغرض. للمزيد عن ذلك راجع:- محمد باقر الحسيني، *نقود السلاجقة*، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٦٩م، ص ٢٨٣؛ رأفت النبراوي، *النقود الصليبية*، ص١٧٩.

[٤] عمران، *النقود*، ص٦٧.

الليرة كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Libra، وهي وحدة وزن رومانية قديمة تعادل ٤.٣٢٧ جرام. للمزيد راجع:- عمران، *النقود*، ص٦٧.

أما الدينار الفضي الذي أصدره شارلمان فكان وزنه ١,٦٧جرام، وبلغ قطره ٢٠ ملليمتر، وكان اثنا عشر دينارًا فضيًا تعادل قيمة صولدي واحدًا من الذهب. للمزيد راجع:- عمران، *النقود*، ص٨١.

[3] Cipolla, C. M., *Money Prices and Civilization in the Mediterranean World*, Cincinnati, 1956, p. 20;

أما داخل المملكة الفرنسية، فقد لعبت العملة دورًا مهمًا في نظم التعامل داخل أسواق شامباني، فبجانب نظام المبادلة، ازدهر التعامل النقدي مع تطور النشاط التجاري الذي شهدته هذه الأسواق، خاصةً بعد أن عمل الملوك الفرنسيون على سك عملة موحدة داخل فرنسا[١]، فمن المعروف أنه في عصر الإقطاع كان كل سيد إقطاعي يصدر عملة تسري في إقطاعه فقط[٢]، لكن في القرن الثاني عشر الميلادي عمل الملك لويس السادس Louis VI (١١٠٨ – ١١٣٧م) على سك عملة من الفضة عرفت باسم الدينار Denier، وكان يُسَك في مدينة تولوز، ثم أكمل من بعده لويس الثامن Louis VIII (١٢٢٣ – ١٢٢٦م) إصداره للدينار التوري Denierius de Tournois نسبة إلى مدينة تور، والذي سُك فيها، وقد أصبحت هذه العملات معمولًا بها داخل المملكة الفرنسية، أما الإقطاعيون فقد كان بوسعهم سك عملتهم كما هو معتاد، ولكن التعامل بها ظل قاصرًا على إقطاعياتهم فحسب[٣].

عمران، *النقود*، ص٢٤٩؛ رأفت النبراوي، *النقود الصليبية*، ص١٧٨.

الفلورين عملة سكت في مدينة فلورنسا Florence الإيطالية منذ عام ١٢٥٢م، كان وزنها ثلاثة جرامات وخمسة في المائة من الجرام، وكان من الذهب الخالص، وعرف باسم الفلورين الذهبي، وانتشر التعامل به في عالم البحر المتوسط، وعرف في الأسواق الشرقية باسم (أفلورى). للمزيد راجع:- عبد الرحمن فهمي، *النقود العربية ماضيها وحاضرها*، دار القلم، القاهرة،١٩٦٤م، ص٩٦؛ عمران، *النقود*، ص٢٥٣.

الدوكات من العملات الذهبية المهمة التي ظهرت في إيطاليا، أصدرها روجر الثاني Roger II دوق أبوليا Apulia (بجنوب شرق إيطاليا) منذ عام ١١٢٧م وملك صقلية (١١٣٠-١١٥٤م)، وكان ذلك عام ١١٤٠م، وكانت تزن حوالي ثلاثة جرامات ونصف الجرام من الذهب. للمزيد راجع:- عمران، *النقود*، ص٢٤٩.

(1) Bourquelot, *Les foires*, p. 141;.٨٨ عمران، *النقود*، ص

(2) Painter, *History of the Middle Ages*, p. 236.

(٥) محمود سعيد عمران، *النقود*، ص ٨٩.

لويس السادس هو ابن الملك فيليب الأول Phillip I، ولد عام١٠٨١م، والدته هي برتا دي هولندا Bertha de Hollanda ابنة فلورين الأول Floren I كونت هولندا، وصف لويس بأفضل الطباع الحسنة والعادات الحميدة، ولُقب فيما بعد بالملك المختار The King Elect. للمزيد راجع :-

Guillelmus Sugerii, Abbate beati Dionyssii in Francia, *Vita Ludovici VI Regis Pilipp Fillii Qui Grossus Dictus*, **R.H.G.F**., Tome X11, Paris, 1874, pp. 10-12.

وقد تراوح قطر الدينار الذي أصدره لويس السادس بين تسعة عشر إلى اثنين وعشرين ميلليمتر، وتراوح وزنه ما بين خمسة وثمانين جزءًا من المائة من الجرام حتى جرام وأربعة وثلاثين جزءًا من المائة من الجرام. للمزيد راجع :- عمران ، *النقود*، ص ٨٧. =

فإذا وصلنا إلى عهد لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦ – ١٢٧٠م)، نجد أنه عمل على توحيد العملة داخل المملكة الفرنسية بأكملها وسك الجروس التوري، والذي انتشر داخل أسواق المملكة الفرنسية في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي حيث كانت المملكة في قمة نشاطها الاقتصادي، نتيجة للازدهار التجاري الذي كانت تشهده أسواقها [١].

وأبقى الملك فيليب الثالث Phillip III (١٢٧٠ – ١٢٨٥م) العمل بالدينار التوري، والجروس التوري الذي أصدره لويس التاسع، والذي عُرف أيضًا بالاسم الثاني، وسرعان ما انتشر داخل أنحاء القارة الأوربية، ولعبت أسواق شامباني دورًا كبيرًا في انتشاره مما أعطاه مرتبة العملة العالمية في القرن الثالث عشر الميلادي، وسرعان ما ضُربت هذه العملة في

= ولويس الثامن هو الابن الأكبر لفيليب أغسطس Phillip Augustus، ولد عام ١١٨٧م، والدته هي إيزابيلا دي هينولت Isabella de Hainault ابنة هينولت Hainault شقيق كونت الفلاندرز، وتم تتويجه ملكًا على فرنسا في أغسطس عام ١٢٢٣م، وامتازت فترة حكمه القصيرة بالنشاط وتدبير أمور المملكة، وتوفي عام ١٢٢٦م. للمزيد راجع:– محمد دسوقى محمد، ""العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرهاعلى الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين (١١٣٧– ١٢٢٣م)"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، فرع دمنهور، ٢٠٠٦م، ص ١٥١؛ عمران، *النقود*، ص ٨٨.

وبالنسبة إلى الدينار التوري الخاص بلويس الثامن كان قطره ثمانية عشر ميلليمترًا، ووزنه تسعة وتسعين جزءًا من المائة من الجرام، للمزيد راجع:– عمران، *النقود*، ص ٨٨.

[1] Bourquelot, *Les foires*, p. 156; عمران، *النقود*، ص٨٨.

ولويس التاسع، هو ابن الملك لويس الثامن، ولد عام ١٢١٤م، وتولى حكم فرنسا في سن مبكرة عام ١٢٢٦م تحت وصاية أمه بلانش دي قشتالة Blanche de Castille إلى أن بلغ سن الرشد، وانفرد بالحكم، قام بالعديد من الحملات على مملكة إنجلترا وعلى أعدائه في الداخل، وعلى بلاد الشرق، وكان أشهرها الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٧–١٢٥٠م) على مصر، التي انتهت بالفشل، وتم أسره في المنصورة، وأطلق سراحه بعد دفع فدية، ليعود بعدها إلى فرنسا، حيث قام بإعادة تنظيم أجهزة الدولة، ووطد دعائم السلطة الملكية، كانت له العديد من الأعمال الخيرية مثل تشييد الكنائس، تمتع أثناء حياته بسمعة طيبة، واشتهر بخصاله ونبله، وبالورع والتقشف، وعُرف بالقديس لويس St. Louis، وتوفيَّ أثناء حملته الصليبية الثامنة على تونس عام ١٢٧٠م، والتي كان يرافقه فيها ابنه فيليب الثالث، الذي ما لبث أن عاد إلى فرنسا ليتولى الحكم وهو ابن خمسة وعشرين عامًا، وسار على نهج والده في توطيد دعائم المملكة حتى وفاته ١٢٨٥م. للمزيد راجع:–

Joinville, *History of Saint Louis*, trans. Evans, Oxford, 1958, p. 11;

جوانفيل، *القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام*، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ص ١٧–٢٥.

إقليم الفلاندرز، وانتشر في ألمانيا، وعُرف باسم الجروشين groschen، ومنها إلى كلْن وكل الأراضي أسفل الراين، وانتشر في منطقة البلطيق والشمال الأوروبي[١].

وكان لهذه السياسة المتبعة من قبل ملوك فرنسا في توحيد النقد والعملة داخل البلاد دورها الإيجابي في انتعاش التعامل النقدي والنشاط التجاري في أسواق شامباني، وازدهار التجارة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، بل وزاد حجم التبادل التجاري بالعملة داخلها إلى أعلى مستوياته، ومثال على ذلك ما شهدته أسواق تروا (السوق الحار، والسوق البارد) في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، حيث قدرت البضائع داخل السوق الأول والمعروف بسوق القديس يوحنا المعمدان بحوالي ثلاثة عشر ألف جروس توري، كان يتم تداولها وجلبها داخل السوق[٢].

بينما قُدرت حجم البضائع المتداولة داخل السوق الثاني – سوق القديس ريمي – بحوالي أربعمائة ألف جروس توري، وهذا يدل على انتعاش الحركة النقدية داخل أسواق شامباني آنذاك[٣]، وإن لم يكن قد تم التعامل على كل هذه البضائع بالعملة النقدية، لكن من المرجح أن معظمها كان يتم التعامل عليه في البيع والشراء بالعملة إلى جانب نظام المقايضة أو صكوك الدين، ومن أمثلة التعامل النقدي داخل أسواق شامباني، والمتمثلة في أسعار بعض السلع والحيوانات؛ فقد كان الثور يباع بسبعة دنانير، ورأس الغنم بأربعة دنانير، والخنزير بثلاثة دنانير، بينما كان المُد من الشعير بنصف دينار، ودينارين للمُد من القمح[٤]، وكان صانعو الأحذية في أسواق لاني يبيعون الحذاء المصنوع من جلد الأغنام بربع دينار، وبمثل ثمنه كانت تباع الأحزمة الجلدية المصنوعة من جلود الأغنام، وكانت تلك الأحزمة تشد على وسط الرجال والنساء معا[٥]، وكانت القبعات المصنوعة من الصوف الفلمنكي تُباع

---

[١] عمران، *النقود*، ص٨٩؛ بيرين، *تاريخ أوروبا*، ص ١١٣. والجروشين، نسبة إلى الجروس، والذي ينطق بالألمانية جروشين.

[2] Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 378; Lavisse, *Histoire de France*, p. 45.

[3] Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 378; Simon, *History of the Champagne Trade*, p. 44.

[4] Bourquelot, *Les foires*, p. 257.

والمُد الإسلامي يساوي ٨١٢.٥ جرام، أي حوالي رطلين. للمزيد راجع:– فالتر هنتس، *المكاييل والموازين الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري*، ترجمة/ كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص٧٥.

[5] Bourquelot, *Les foires*, pp. 272-273.

بثمانية سوسات Sous، أما المصنوعة من القماش فكانت تُباع بأربع أو ست سوسات، في حين وصل سعر الثوب من الصوف إلى حوالي اثنى عشر سوسًا، وكانت النقابات التجارية والحرفية داخل الأسواق هي منْ تحدد هذه الأسعار، وذلك وفقًا لجودة ونوعية كل سلعة[١].

كانت هذه بعض الأمثلة التي أبرزت التعامل النقدي الذي شهد تطورًا ملحوظًا داخل أسواق شامباني، والتي أدت بدورها إلى انتشار العملة التي سكها ملوك فرنسا في أنحاء أوروبا آنذاك، ويتم التعامل معها كعملة دولية موحدة داخل أكبر أسواق القارة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، لما يتمتع به ملوك فرنسا في تلك الفترة من السيادة الإقطاعية على العديد من الدوقيات والإقطاعيات والممالك داخل القارة الأوروبية .

- **التعامل بصكوك الدين**

لم تقف التعاملات التجارية داخل أسواق شامبنى عند نظام المقايضة أو العملة النقدية، لكن برز نوع ثالث من التعامل داخل تلك الأسواق فرضته الصفة الدولية والعالمية التي اشتهرت وامتازت بها أسواق شامباني، وهذا النظام الجديد عُرف بالصكوك الورقية المكتوبة، وهو نظام يشبه في أيامنا هذه ما يعرف بالكمبيالات أو إيصالات الأمانة أو خطابات الاعتماد، ففي ترتيبات كل سوق من أسواق شامباني، كان يترك للتجار بضعة أيام في نهاية كل سوق من أجل تسوية حساباتهم وللوفاء بالديون والصكوك المستحقة على كل تاجر[٢]، هذه الصكوك كانت في بداية القرن الثاني عشر الميلادي، عبارة عن تعهدات بسيطة مكتوبة، لدفع مبلغ من المال في مكان غير المكان الذي تم فيه عقد الدين، وهو ما عرف بـ"ورقة للدفع في مكان محدد"[٣]، ويتعهد الموقع على هذه الورقة أن يدفع في مكان آخر للملتزم أو المدين له أو وكيله، وفي بعض الأحيان يدفع بنفسه هذا الدين من خلال وكيل nuntius يعمل لحسابه[٤]، وفي الواقع أن هذا النظام، والذي كان

---

(1) Bourquelot, *Les foires*, p. 280.

سوس كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية صولدي Solidus، وعشرون سوسًا كانت تساوي دينارًا واحدًا. للمزيد راجع:– عمران، *النقود*، ص٦٧.

(2) Oliver and Holmes, *A Source Book*, p. 379; Pounds, *An Economic History*, p. 357.

(٣) هنري بيرين، *تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)*، ترجمة/ عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م، ص١٠٢ .

(4) Bourquelot, *Les foires*, p. 133;

بيرين، *تاريخ أوروبا* ، ص١٠٢؛ هناء محمد الراشد، *التاريخ السياسى لإمارة قطالونيا* ، ص٤٤٠.

للإيطاليين السبق في استخدامه في تجارتهم على نطاق واسع في الحوض الشرقي للبحرالمتوسط[١].

والذين أخذوه بدورهم من اليهود حيث كانوا هم أول منْ استخدم نظام الصكوك والكمبيالات في المعاملات بين أصحاب رؤوس الأموال[٢]، قد ساعد على تنشيط المعاملات التجارية داخل أسواق شامباني الكثيرة والمتباعدة في أماكن عديدة، حيث كانت الديون تُدفع في أحدها أو في أي منها دون النظر إلى مكان كتابة صكوكها، ولم يكن ذلك الوضع خاصًا بديون التجارة فقط ، لكنه طبق على السلف البسيطة التي يقترضها الأفراد والأمراء أو بيوت العبادة [٣]، وأكثر من ذلك، فإن كل أسواق أوروبا والتي كانت على اتصال بأسواق شامباني أظهرت تلك التعريفة بها، ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي كانت العمليات التجارية أو الديون بأسواق شامباني يتم سدادها بعد التصفيات الحسابية [٤] .

كان التاجرإذا أخذ بضاعةً أو قرضًا يكتب على نفسه صكًا بأن يسدد ما عليه إلى الدائن قبل وقت معين في أحد الأسواق الموسمية الكبرى داخل شامباني، وكانت هذه الصكوك تُسوى بعضها مع بعض داخل السوق؛ بحيث لا يؤدي نقدًا إلا صافي الحساب بعد التسوية، وهو ما سُميَّ بالتصفيات الحسابية[٥]، وعلى سبيل المثال ما تم في سبتمبر عام ١٢٨٢م من خلال تقرير خاص بأحد التجار ويُدعى سيمون دي شاتيو Simon de Chateau، وينص التقرير على: "أقر انا سيمون دي شاتيو أني قد اقترضت مبلغًا من المال – ولم يحدد التقرير قيمة المبلغ – من الإيطاليين في سوق القديس أُول في بروفانس من أجل شراء ثمانية خيول، وأتعهد لهم (أي للإيطاليين) بدفع هذا المبلغ في سوق لاني، والذي سوف يُقام في يناير المقب"[٦]، وبالطبع كان المبلغ الذي سيدفعه للإيطاليين أكبر من الذي اقترضه، لكن الفقرة لم تشر إلى ذلك. وكان عديد من تجار مونبلييه المترددين على أسواق بروفانس يحملون معهم بعض المنتجات والسلع القادمة من بلاد الشرق عن طريق

---

[١] بيرين، *تاريخ أوروبا*، ص ١٠٢؛ عادل زيتون، *العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب*، ص ٥٤.

[2] Duruy, V., *Histoire du moyen âge depuis la chute de l'empire d'occidant jusque au milieu du XV siècle*, Paris, 1890, p. 356.

[٣] بيرين، *تاريخ أوروبا*، ص ١٠٢.

[4] Bourqulot, *Le foires*, p. 157.

[5] Bourqulot, *Le foires*, p. 158.

[6] *Letter rapportent au commerce des chevaux aux foires de Champagne*, in: Bourqulot, *Les foires*, p. 303.

إيطاليا إلى أسواق تروا، وكان يتم سداد ثمنها بموجب صكوك الدين في وقت لاحق بعد الانتهاء من بيعها داخل أسواق تروا[١].

وكانت هذه الصكوك يتم من خلالها الشراء أو البيع على الحساب في القرن الثالث عشر الميلادي، بمعنى أن يأخذ التاجر بضاعة أو سلعة من تاجر آخر، ثم يسدد ثمنها بعد أن يبيعها في وقتٍ لاحق، ومن الأمثلة على ذلك أيضًا ما ورد في نص اتفاق الشراء على الحساب، أن قام رجل يُدعى بيير روبو Pierre Roubaud وابنه بالشراء مشاركة من أحد الأشخاص، ويسمى هيوج ديو Hugues Dieude، حيث تسلموا منه ستة أحمال قطن، وبلغ سعر القطن الذي يدينان به لهذا الشخص مائة وستة جنيهات من المال المعمول به في مارسيليا، مع وعدهم إياه خلال هذا الاتفاق بالدفع، ولو قام أحدهما بالدفع يكون الأمر منتهيًا، وقد وقع هذا الاتفاق في مارسيليا في يونيه ١٢٤٨م على أن يتم الدفع بعد شهرين، أي في شهر أغسطس مع وعدهم بتعويضه عن كل التكاليف والنفقات[٢]، وقد استخدمت صكوك الدين بين التجار والحمَّالين كوسيلة للدفع ولضمان سلامة البضائع المنقولة وتسليمها لأصحابها في الزمان والمكان المحددين، أي أنها أُستخدمت كفواتير للشحن ولنقل البضائع، ومن الأمثلة على ذلك ما تم في العام المذكور نفسه، "حيث أقر كل من يوستاش كازال Eustace Cazal وبيتر آمييل Peter Amiel وهما حمالين بتسلمهم من جون كونفرتانس John Confortance اثنى عشر حمل خشب برازل، وتسعة أحمال فلفل وسبعة عشر ونصف زنجبيل لنقلها من تولوز إلى سوق القديس كورياك في بروفانس في مايو القادم مقابل أربعة دنانير توريه وخمسة عشر صولدي لكل من الأحمال المذكورة، مع إقرارهم باستلام المال والعمل على مراعاة حمل هذه الأحمال على حيواناتهم، وتسليمها إلى مالكها في بداية انعقاد سوق القديس كورياك مع المحافظة على البضاعة[٣].

---

(1) German, *Histoire de la commune*, Vol.1, p. 523; Borquelote, *Histoire de Provins*, Vol. 2, p. 382.

(2) *Lettre de prêt*, in: Blancard, *Documents inédits*, Vol. 2, p. 223.

(3) *Lettre de voiture*, in: Blancard, *Documents inédits*, Vol. 2, p. 109.

وخشب البرازل Brazil، نوع من أنواع الصبغات ذات اللون الأحمر، ويأتى من جزر الهند الشرقية، ويعرف باسم شجر البقم، وموطنه الأصلي الملايو، ولونه يشبه لون الفحم المتوهج، وقد عرفه الإيطاليون باسم Berzl. للمزيد انظر: نعيم زكي، *طرق التجارة*، ص٢٣٩.

اما عن الحمل، فقد أُختلف في تحديد مقداره من بلد لآخر، لكن تم تقدير قيمة تقريبية للحمل تقارب حوالي ٢٥٠ كجم. للمزيد راجع:- فالتر هانتس، *المكاييل*، ص ٢٦.

ومما سبق يتضح لنا أن نظام التعامل بصكوك الدين، قد تطور خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين داخل أسواق شامباني، وفي الحقيقة يعتبر هذا النظام من الأنظمة المثالية آنذاك في المعاملات التجارية؛ لأنه أدى إلى تيسير هذه المعاملات بكفاءة عالية، ومن ناحية أخرى تجنب التجار المترددون على أسواق شامباني من خلاله حمل المبالغ الطائلة، ومسؤولية نقلها من سوق إلى آخر حتى لا تتعرض للسرقة من قبل قطاع الطرق، أو حتى الضياع من خلال التنقل الشاق بين الأسواق، وكان لذلك أثره الإيجابي على تنشيط التجارة داخل أسواق شامباني وتطورها.

الخاتمة

في النهاية يمكن القول، أن أسواق شامباني كانت بمثابة نقطة التقاء ومركز تجاري، ضم بين جنباته تجارة القارة الأوروبية آنذاك، حيث تردد عليها عديد من التجار على اختلاف جنسياتهم، وسلعهم المتنوعة والمجلوبة من شتى البقاع شرقًا وغربًا؛ لتصبح أكبر ملتقى تجاري داخل أوروبا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وأصبحت سوقًا دولية تجمعت داخلها مختلف السلع المحلية والأجنبية، ونشطت داخلها عملية التبادل التجاري، وزاد بدوره حجم المبيعات؛ مما أدى إلى انتشار التعامل النقدي؛ مما جعل ملوك فرنسا يسعون إلى سك العملة وجعلها موحدة، وهو التطور التجاري الأبرز في تاريخ هذه الأسواق، فكانت هذه الخطوة بمثابة نقطة تحول في انتقال أسواق فرنسا إلى مرتبة العالمية، وهذا الأمر أنعش اقتصاديات المملكة الفرنسية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا : المصادر الأجنبية:

(1) *Extent of the Lands of the County of Champagne*, in: J. Oliver and E. Holmes, *A Source Book for Medieval History*, Boston, 1905, p. 377.

(2) Guillelmus Sugerii, Abbate beati Dionyssii in Francia, *Vita Ludovici VI Regis Pilipp Fillii Qui Grossus Dictus*, **R.H.G.F**., Tome XII, Paris, 1874, pp. 10-12.

(3) Joinville, *History of Saint Louis*, trans. Evans, Oxford, 1958.

وتم الرجوع أيضًا للترجمة العربية، جوانفيل، *القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام*، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

(4) *Lettre de prêt*, in: Blancard, L., *Documents inédits le commerce de Marseille au moyen âge*, 2 Vols. Marseille, 1884, p. 223.

(5) *Lettre de voiture*, in: Blancard, *Documents inédits*, Marseille, 1884, Vol. 2, p. 109.

(6) *Letter rapportent au commerce des chevaux aux foires de Champagne*, in: Bourquelot, F., *Les foires de Champagne sur la nature l'etendue et les regles du commerce*: memoires presentes par divrers savants a l'academe des inscriptions et belles-lettres, Paris, 1865, p. 303.

(7) *Vente d'une esclave sarrasine nommée Aïssa*, in: Blancard, *Documents inédits*, Marseille, 1884, Vol. 2, pp. 172-173.

(8) William of Malmesbury, *Chronicle of the Kings of England from the Earliest period to the region of King Stephen*, trans. J. A. Giles, London, 1847.

ثانيًا: المصادر العربية:

(١) البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، *جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك*، تحقيق/عبد الرحمن الحجي، بيروت، ١٩٦٨م.

(٢) الدمشقي (أبو الفضل جعفر بن علي، ت أواخر القرن الحادي عشر الميلادي)، *الإشارة إلى محاسن التجارة*، تحقيق/ البشري الشوربجي، القاهرة، ١٩٧٠م.

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

(1) Aryeh, G., *The Illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization*, London, 1980.

(2) Boissonnade, P., *Life and Work in Medieval Europe*, London, 1954.

(3) Cave, R.C. and Coulson, H. H., *A Source Book for Medieval Economic History*, New York, 1961.
(4) Chapman, C. E., *History of Spain*, New York, 1931.
(5) Cipolla, C. M., *Money, Prices and Civilization in the Mediterranean World*, Cincinnati, 1956.
(6) Clive, D., *History of Commerce*, London, 1950.
(7) Cunnigham, W., *The Growth of English Industry and Commerce During the Early and Middle Ages*, Cambridge University Press, 1890.
(8) Duruy, V., *Histoire du moyen âge depuis la chute de l'empire d'occidant jusque au milieu du XV siècle*, Paris, 1890.
(9) Frey, A. R., *Dictionary of Numismatic Names*, New York, 1947.
(10) German, A., *Histoire de la commune de Montpellier*, 2 Vols. Montpellier, 1854.
(11) Giraldus, C., *The Topography of Ireland and the History of the Conquest of Ireland*, London, 1894.
(12) Haskins, H., *The Normans in European History*, New York, 1966.
(13) Heaton, H., *Economic History of Europe*, New York, 1980.
(14) Hoyat, R. S., *Europe in the Middle Ages*, Now York , 1976.
(15) James, B., "The Pirate Fishermen: The Political Economy of A Medieval Maritime Society", in: B. Crawford (ed.), *The Northern World North Europe and the Baltic 400-1700 AD, Peoples, Economics and Culture*, Boston, 2007, pp. 299-340.
(16) Jubainville, A., *Histoire des duces et des comets de Champagne*, 3 Vols. Paris, 1861.
(17) Lavisse, E., *Histoire de France*, Paris, 1913.
(18) Masson, B. A., *Medieval France*, London, 1945.
(19) Moore, W. G., *The Penguin Encyclopedia of Places*, New York, 1971.
(20) Opoix, Ch., *Histoire et description de Provins*, Paris, 1823.
(21) Painter, S., *A History of the Middle Ages*, New York, 1954.
(22) Pounds, N. G., *An Economic History of Medieval Europe*, London, 1974.
(23) Simon, A., *History of the Champagne Trade in England*, London, 1905.
(24) Smith, J. R., *The Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem*, 1174-1277, London, 1973.

(25) Thompson, J. W., *Economic and Social History of the Middle Ages: 300-1300*, 2 Vols. New York, 1959.
(26) Webester, M., *New Geographical Dictionary*, New York, 1972.
(27) Woolf, A., "The Wood beyond the World Jutland and the Norwegian Kings", in: B. Crawford (ed.), *The Northern World North Europe and the Baltic 400-1700 AD, Peoples, Economics and Culture*, Boston, 2007, pp. 153-168.

رابعًا: المراجع العربية:

(١) إدوارد بروي، *القرون الوسطى*، ترجمة/ يوسف أسعد داغر، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢) أسامة إبراهيم حسيب،"مقاطعة لانجدوك بجنوب فرنسا في القرن الثاني عشر الميلادي"، *مجلة كلية الآداب جامعة بنها*، العدد٢٤، يناير ٢٠١١م، ص ص٧٣٣-٨٢٢.

(٣) أوليفار ريمي كونستابل، *السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط*، ترجمة/ محمد الطاهر المنصورى، بنغازى، ليبيا، ٢٠١٣م.

(٤) جودة حسنين جودة، *قارة أوروبا (دراسات في الجغرافيا الإقليمية)*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

(٥) حاتم عبد الرحمن الطحاوي، *الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام*، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٦) رأفت محمد النبراوي، *النقود الصليبية في مصر والشام*، مكتبة القاهرة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٤م.

(٧) زينب أبو الأنوار، *أسواق وتجار أوروبا في العصور الوسطى*، دار الأفاق العربية، القاهرة ، ٢٠١٣م.

(٨) سعيد عاشور، *تاريخ أوروبا العصور الوسطى*، جزءان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

(٩) سونيا هاو، *في طلب التوابل*، ترجمة/ محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

عادل زيتون، *العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى*، دمشق، ١٩٨٠م.

(١٠) عبد الرحمن فهمي، *النقود العربية ماضيها وحاضرها*، دار القلم، القاهرة،١٩٦٤م.

(١١) عزيز سوريال عطية، *العلاقات بين الشرق والغرب (تجارية – ثقافية – صليبية)*، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٢م.

(١٢) فالتر هنتس، *المكاييل والموازين الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري*، ترجمة/ كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

(١٣) كزارا فريد، *التوابل*، ترجمة/ إيزاميرالد حميدان، أبو ظبي، ٢٠١٠م.

(١٤) محمد باقر الحسيني، *نقود السلاجقة*، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٦٩م.

(١٥) محمد خميس الزوكة، *جغرافية المياه*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

(١٦) محمد دسوقى محمد حسن، "العلاقات السياسية الفرنسية الإنجليزية وأثرها على الحروب الصليبية في المشرق والمغرب الإسلاميين (١١٣٧– ١٢٢٣م)"، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب جامعة الإسكندرية – فرع دمنهور، ٢٠٠٦م.

(١٧) محمد زايد عبد الله، *جوانب من حضارة أوروبا في العصور الوسطى*، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٦م.

(١٨) محمود سعيد عمران، *النقود في أوروبا في العصور الوسطى*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،٢٠١١م.

(١٩) هايد (ف)، *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، ج ٤، ترجمة/ أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٩٤م.

(٢٠) هناء بنت محمد الراشد، "التاريخ السياسى لإمارة قطالونيا ودورها التجاري في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني والثالث عشر الميلاديين"، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية بالدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢١) هنري بيرين، *تاريخ أوروبا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)*، ترجمة/ عطية القوصي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.

The Seasonal Markets of the County of Champagne in the French Kingdom during the Twelfth and Thirteenth centuries AD

Muhammad Gomaa Muhammad

Abstract:

Markets in general are considered one of the most striking features of economic life through the ages. Because of the role they play in the history of peoples, seasonal markets were formed, in order to carry out large-scale commercial transactions, or what is known as the wholesale process, and these markets were established to attract the largest possible number of people to sell their various goods and commodities, and these markets were not held more than once or at most twice a year in the same place; This is because of the great preparations they need, and the markets of the French Kingdom - especially in the county of Champagne - were considered among the most prominent examples of this type of seasonal market that Europe knew during the Middle Ages.

Keywords: Seasonal Markets, Goods, Trade, France, Champagne, Medieval Ages.